دراسات في الكتاب المقدس

الأب ألبير ڤانوا اليسوعي

دراسة في الرسالة إلى العبرانيّين

١١

دار المشرق - بيروت

المقدِّمة

« عِظة الى مسيحيين تائهين » : هكذا يمكننا أن نعنون هذه « الرسالة الى العبرانيين » ، فهي ليست رسالة ، ولم تصدر عن بولس ، ولم تُرسَل الى العبرانيين !

رجال ونساء انضمّوا الى المسيح بحماس . لكن عامِل الزمن وثِقَل الشدائد والإنذار بالاضطهادات نالت من اندفاعهم الأول . وكأني بصاحب الرسالة يوبّخهم فيقول لهم : « تعانون كثيراً من معرفتكم للمسيح وتحارون في أمركم أمام تطوّر الأشياء وتراكم الشدائد ؟ تعمَّقوا اذاً في ايمانكم وضعوا نصب عيونكم رأس ايماننا ، المسيح ، عظيم كهنتنا » . في ذلك تذكير قوي لا يقبل التنازل لمسيحيي كل زمان ، فلنا أيضاً . ان أردنا أن نثبت في ايماننا ، مهما اشتدّت الظروف ، فما علينا إلّا أن نتعمّق في فهمنا لذلك الايمان وأن نهتمّ بما هو رئيسي ، أي المسيح .

قد يُستغرَب أن نقول ان هذه الرسالة ، أو بالأحرى هذه العظة ، هي في غاية البساطة . فكثيراً ما نضيع ، عند قراءة رسالة من رسائل بولس ، في كثرة المواضيع التي يتطرّق إليها . أمَّا هنا ، فإن صاحب الرسالة يعالج فكرة واحدة ، وهي ان يسوع هو عظيم كهنتنا . لكن صعوبة هذه العظة تكمن ، ولا شك ، في عمق ذلك التعليم : فالكاتب يقلّبه الى جميع وجوهه لنستنير بتألقاتها . وبما أنه يخاطب أناساً مطَّلعين على الطقوس اليهودية ، فهو يستند دائماً الى المؤسّسات اليهودية ليُظهر كيف أنها مهَّدت الى يسوع وكيف أن يسوع يحقّقها ويتخطَّاها . وأخيراً ، فإن صاحب الرسالة كاتب كامل ونصّه رائعة أدبية ، وإن كان أسلوبه محيِّراً .

تساؤلات عامة حول الرسالة

١ . عنوان الرسالة

أول ما يفاجئنا لدى اقبالنا على قراءة هذا النص هو العنوان « الى العبرانيين ». فإننا لا نعلم تماماً حتى اليوم ما هي الظروف التي حدَت بأهل الكنيسة الأولى الى إطلاق مثل هذه التسمية ، علماً بأنها لا توافق كما يجب مضمون هذا النص. فمن مساوئ هذا العنوان أن يُبعد المسيحيين عن قراءة هذا النص ، أو بالأحرى أن يشوّه أبعاده الفكرية.

وهذا أمر مُحزن جداً ، لأن هذه العظة من كنوز الوحي الالهي ، وهي تحتوي على تعاليم لاهوتية وروحية في قالب أدبي فريد. إنها لا تكتفي بالنظريات ، بل تحمل الجماعة المؤمنة المسيحية على أن تعيش الواقع بإيمان. والأمر الذي يلفت انتباهنا في هذه العظة هو أنها تستعمل ألقاباً كهنوتية ، في مجال الحديث عن المسيح ، مثل « كاهن » و « عظيم كهنة » ، وهي بذلك تتميَّز عن باقي نصوص العهد الجديد ، اذ ان هذه النصوص لا تُطلق مثل هذه الألقاب على المسيح. وهناك أكثر من ذلك ، فليست المسألة مسألة ألقاب ، فنحن أمام خلاصة للايمان المسيحي ، قائمة حول موضوع الكهنوت. عن كل ذلك ، لا يساعدنا عنوان « الى العبرانيين » على تكوين أية فكرة.

وعلينا أن ننتبه أيضاً الى ان هذا العنوان لا يمتّ الى العظة بصلة ، بل زيد عليها دون أن يكون في النص ما يشير إليه. والمقارنة في هذه الحال تُظهر ما هناك من فوارق بين هذه العظة ورسائل القديس بولس. في مطلع رسائل بولس ، عناوين نجد ما يُثبتها في متن الرسالة. فالرسالة « الى أهل غلاطية » وُجِّهت ولا شك « الى كنائس غلاطية » (غل ١ / ٢) ، فهي تطرح الأسئلة على « أهل غلاطية الأغبياء » (غل ٣ / ١). أمَّا العظة التي نحن في صدد دراستها ، فلا مجال أن نقع فيها على ذكر

مَن هو كاتب العبرانيين ؟

١. **هل هو بولس الرسول ؟** كلّا. يبدو لنا، من المقارنة بين رسائل بولس وهذه الرسالة، ان لكاتب العبرانيين شخصية مختلفة. فلنبحث في وجوه الاختلاف الكثيرة بين الطرفين.

بولس	كاتب العبرانيين
• اسلوب حماسي وغير منتظم. • يستحسن التضادّ.	• اسلوب منمَّق وهادئ. • يستعمل الانتقال الهادئ من فكرة الى أخرى.
• يتحدّث عن نفسه. • يستعمل غالباً عبارة «في المسيح»، «المسيح يسوع»، «يسوع المسيح ربنا»، «ربنا يسوع المسيح».	• يختفي وراء تفكيره. • لا يستعمل أبداً مثل هذه العبارات، بل يبتكر عبارات حول اسم «يسوع» (عب ٢ / ٩ و ٣ / ١ و ٤ / ١٤ و ٦ / ٢٠ و ٧ / ٢٢ و ١٢ / ٢ و ٢٤).
• حين يستشهد بالعهد القديم، يسميه غالباً «الكتب» أو «الكتاب». • لا يذكر كلمات «كاهن» و «عظيم كهنة» و «كهنوت».	• لا يستعمل هذه العبارات، بل يلجأ الى فعل «قال». • يذكر غالباً كلمات «كاهن» و «عظيم كهنة» و «كهنوت».

ملاحظة: تنطبق هذه الملاحظات على العظة (عب ١ / ١ — ١٣ / ٢١)، لا على الآيات التي في آخر النص (عب ١٣ / ١٩ و ٢٢ — ٢٥). قد تكون هذه الآيات الأخيرة من يد القديس بولس.

٢. **هل من صلة فكرية بين الكاتب وبولس الرسول ؟** نعم، هناك صلة فكرية وطيدة في أمور عامة.

• نقاش حادّ ضد الشريعة: غل ٢ / ١٦ — ٢١ و ٣ / ١٩ — ٢٥ وروم ٤ / ١٤ — ١٥ و ٥ / ٢٠ و ٨ / ٣ من جهة، وعب ٧ / ١٢ و ١٦ و ١٨ / — ١٩ و ٢٨ و ١٠ / ١ و ٨ — ٩ و ١٣ / ٩ — ١٠ من جهة أخرى.

• تشديد على طاعة المسيح الفادية: روم ٥ / ١٩ وفل ٢ / ٨ من جهة، وعب ٥ / ٨ — ١٠ و ١٠ / ٩ — ١٠ من جهة أخرى.

• الطريقة في التعبير عن مجد المسيح الالهي: قول ١ / ١٥ — ١٧ وفل ٢ / ٩ و اف ١ / ٢١ وقول ٢ / ١٥ و اف ١ / ٢١ و ١ قور ١٥ / ٢٧ و اف ١ / ٢٢ و ١ فور ١٥ / ٢٥ من جهة، وعب ١ / ٢ — ٣ و ١ / ٤ — ١٤ و ٢ / ٨ و ١٠ / ١٣ من جهة أخرى.

• تعليم العبرانيين في ذبيحة المسيح (٩ / ١٤ و ١٠ / ١٠ و ١٢ و ١٣ / ١٢) متأصل، ولا شك، في اف ٥ / ٢ و ٢٥ (راجع غل ٢ / ٢٠).

● وردت في العهد الجديد ٦٥ كلمة لم تستعمل إلّا في العبرانيين وفي رسائل القديس بولس، مثلاً: «جهاد» و «فخر» و «شهادة ايمان».

● في الآيات الأخيرة، ذكر لطيموتاوس (١٣ / ٢٣)، فهو، ولا شك، رفيق القديس بولس (١ طيم ١ / ١ الخ).

● في الآيات الأخيرة، تحيات ختامية ذات طابع بولسي (١٣ / ٢٥، وراجع قول ٤ / ١٨ وطيم ٣ / ١٥).

٣. اقتراحات كثيرة لتحديد هوية الكاتب

نسب بعض الكتّاب القدماء نص العبرانيين الى لوقا الانجيلي، أو الى برنابا وهو مسيحي منذ اعلان البشارة (رسل ٤ / ٣٦)، ورفيق بولس (رسل ٩ / ٢٧ و ١١ / ٢٢ — ٣٠ و ١٣ — ١٥ وغل ٢)، أو الى اقليمنضس الروماني (فل ٤ / ٣؟). كثير من النقّاد دافعوا عن امكانية نسبة العبرانيين الى احدى هذه الشخصيات. أمّا برنابا، فقد حظي بتأييد واسع. ولكن، ليس هناك من اجماع على أحد.

وقد اقتُرح أيضاً اسم سلوانس أو سيلا (رسل ١٥ / ٢٢)، وهو رفيق بولس (رسل ١٥ / ٤٠ — ١٨ / ٥ و ١ تس ١ / ١ و ٢ تس ١ / ١ و ٢ قور ١ / ١٩)، ومساعد بطرس (١ بط ٥ / ١٢)، كما اقتُرح أيضاً اسم الرسول بطرس نفسه، واسم يهوذا، أخي يعقوب الذي كتب رسالة قصيرة، واسم فيلبس، «أحد السبعة» (رسل ٦ / ٥ و ٨ و ٢١ / ٨)، واسم برسقلّة، زوجة أقيلا (روم ١٦ / ٣ / ٥ ورسل ١٨)، واسم ابلّس (١ قور ١ / ١٢ و ٣ / ٤ — ٦ و ٢٢ و ٣٦ / ١٢ وطيم ٣ / ١٣)، واسم أرِسطيون، تلميذ الرب، على حد قول بابياس. وقد أشار بعضهم أخيراً الى أن تعليم العبرانيين يصدر عن مريم، أم يسوع.

هذا يعني انه من الصعب أن نحدّد هوية كاتب العبرانيين. إلّا ان وصف لوقا لشخصية ابلّس في رسل ١٨ / ٢٤ — ٢٨، يتناسب مع ما نتصوّره من صفات تحلّى بها كاتب العبرانيين: هو من أصل يهودي، نشأ وتربّى في مدينة يونانية كالاسكندرية، يحسن معرفة العهد القديم، له مواهب فريدة في فن الوعظ، فكره المسيحي متأصّل في تعليم القديس بولس. لكن ذلك كله لا يكفي للدلالة على ان ابلّس هو الذي كتب العبرانيين، لأن الصفات المذكورة هي ما تحلّى به رجال مؤمنون كثيرون في ذلك الزمن. فعلينا أن نقبل بعدم التثبّت من هذا الأمر.

لا نعرف أيضاً تاريخ تأليف العظة الكهنوتية، ولا المكان الذي وُضعت فيه ولا المكان الذي أرسلت اليه. فالآراء كثيرة في هذا الشأن. ألقيت العظة قبل السنة ٧٠ ببضع سنوات، وهي السنة التي استولى فيها على أورشليم ودُمّر فيها الهيكل؛ لأن الكاتب يتكلّم على طقوس الهيكل كلامه على أمر ما زال اليهود يمارسونه (عب ١٠ / ١ — ٣). وهذه السنوات هي الزمن الذي استُشهد فيه القديس بولس.

«العبرانيين» من قريب أو من بعيد، كما اننا لا نقع على ذكر «اليهود» الذين كثيراً ما وردوا في رسائل القديس بولس، ولا على ذكر «الاسرائيليين»، ولا على أي تلميح الى «الختان». في الواقع، لا يذكر

هذا النص إلى من يوجّه الكلام. لا شك أنه يتحدّث الى مسيحيين (٣ / ١٤)، الى مسيحيين آمنوا من زمن بعيد (راجع ٥ / ١٢). لكنّ الكاتب لا يذكر في أية منطقة يعيشون، والى أية ثقافة ينتمون. انه لا يتحدّث عن وضعهم قبل اهتدائهم، ولا يذكر ما هناك من فوارق بين اليهود والوثنيين، بل الأمر الوحيد الذي يهتمّ له هو «دعوتهم المسيحية». فهو يسعى بكل ما فيه من قوة الى تعزيز نموّها (٢ / ٣ — ٤ و ٣ / ١ و ٤ / ١٤ و ١٠ / ١٩ — ٢٥ و ١٢ / ٢٢ — ٢٥ و ١٣ / ٧ — ٨). ولا شك انه، في مجال الحديث على هذه الدعوة، يشعر بالحاجة الى البحث في مشكلة العلاقة القائمة بين العهد القديم والعهد الجديد، فيحدّد موقفه من بعض النزعات اليهودية السائدة في زمنه. فلا شك ان هذه الناحية من عمله هي التي حملت فيما بعد على اختيار هذا العنوان التقليدي. انه عنوان غير مناسب، لأنه لا يتماشى مع مضمون النص، الذي يدعو المؤمنين الى تعميق ايمانهم بالمسيح والى اكتشاف حوافز جديدة للحياة المسيحية. فالأفضل أن نقول «الى مسيحيين» من أن نقول «الى العبرانيين».

٢. أرسالة أم عظة؟

كثيراً ما نقول وما نكتب: «الرسالة الى العبرانيين»، مع انها ليست في الواقع رسالة، بل عظة، أضيف في خاتمتها بضعة أسطر، حين أُرسلت الى جماعة مسيحية بعيدة. وهذه الأسطر تقع في آخِر النص، وهي الآيات الأربع الأخيرة (١٣ / ٢٢ — ٢٥)، والآية ١٣ / ١٩، التي تقع قبل خاتمة العظة (١٣ / ٢٠ — ٢١). أسلوب هذه الآيات أسلوب بسيط، في حين ان سائر العظة وُضعت وفقاً لأساليب البلاغة في ذلك الزمن. وهذا ما سنتحقّق منه فيما بعد.

ان اضافة بضع آيات للتحية في خاتمة النص لا تكفي لتغيير أسلوب النص الأدبي. فالرسالة الى العبرانيين ليست برسالة، لأنها تستخدم أسلوب العظة من بدايتها الى نهايتها (١ / ١ و ١٣ / ٢٠ — ٢١)، أي، بتعبير آخر، لأنّ فنّها الأدبي هو العظة. وهي، في العهد الجديد، النص الوحيد الذي هو عظة بكامله. أمّا في الحالات الأخرى، فلدينا مقاطع كرازية أُدرجت في رسائل، أو نصوص أدبية دُمجت في سرد قصصي.

وُضعت «الرسالة الى العبرانيين» في آخِر رسائل القديس بولس، لأن تقليد الكنائس الشرقية نسبها الى القديس بولس، علماً بأن فيها وجوه شبه برسائل القديس بولس. ولكن يحسن بنا أن نقول إن لها أصلاً بولسيّاً بعيداً. وهذا ما فعله أوريجينس في القرن الثالث. فالقديس بولس ليس كاتب «الرسالة الى العبرانيين» أو «العظة الى العبرانيين»، لأن شخصية الكاتب، وهي تظهر من خلال المفردات والأسلوب والمضمون، تختلف كل الاختلاف عن شخصية بولس.

٣. عظة كهنوتية

استناداً الى ما سبق، لا بدّ من تغيير اسم «الرسالة الى العبرانيين»، لأن هذا العنوان يوقعنا في

التباس دائم. فمن المستحسن أن نسميها « عظة في كهنوت المسيح » أو « عظة كهنوتية »، كما نسمّي الفصل السابع عشر من انجيل يوحنا « الصلاة الكهنوتية ». ليس من السهل أن يطلب أحد الناس تغيير اسمه المسجَّل رسمياً، وهذا شأن « الرسالة الى العبرانيين »، فهي حملت هذا الاسم طوال عشرين قرناً. فـ « الرسالة الى العبرانيين » تبقى التسمية الرسمية لهذه العظة الكهنوتية، وليس ما نبتغيه إلّا تفسير هذا العنوان، لأنه لا يشير الى مضمون النص، وهو كتسمية لا معنى لها. قد يسمّي أحدهم «أسود» ويكون أبيض اللون. فقيمة هذه التسمية هي للدلالة على الشخص أو على العائلة، لا أقل ولا أكثر. ويجب اذاً أن تصبح « الرسالة الى العبرانيين » مجرّد اسم علم متّفق عليه للدلالة على أحد نصوص العهد الجديد، دون اشارة الى مضمونه والى فنه الأدبي. وبناءً على ذلك، سنستعمل غالباً عبارة « العبرانيين » بمعنى « الرسالة الى العبرانيين »، وذلك في سبيل نظرة جديدة الى هذا النص.

و « العبرانيين » في نظرنا هي اسم أحد أسفار العهد الجديد، وهو ليس برسالة، ولم يُرسل الى عبرانيين، بل هو عظة لمسيحيّي القرن الأول.

كهنوت العهد القديم
وكهنوت المسيح

١. الجديد في العبرانيين

الجديد في العبرانيين هو انها النص الوحيد الذي يأتي فيه الكلام على كهنوت المسيح بوجه واضح. فالقديس بولس لا يتطرق الى مثل هذا الموضوع، كما ذكرنا، ولا يتكلّم أبداً على «الكاهن» وعلى «عظيم الكهنة» وعلى «الكهنوت». وعندما تأتي الأناجيل على ذكر الكاهن وعظيم الكهنة، فللدلالة على كهنة اليهود وعظماء كهنتهم، لا على يسوع. وهذا الموضوع نفسه لا نجده في أعمال الرسل، إلّا في حالة واحدة أُطلق فيها هذا اللقب على كاهن وثني (رسل ١٤ / ١٣). أمّا كاتب العبرانيين، فلا يتردّد في إطلاق لقب «كاهن» و «عظيم كهنة» على يسوع، ويدعو المستمعين الى «تأمُّل الرسول وعظيم الكهنة الذي نشهد له، أعني يسوع» (عب ٣ / ١، وراجع ٤ / ١٤ و ١٥ و ٥ / ١٠ و ٦ / ٢٠ الخ)، ويؤكد على ان كهنوت المسيح هو «رأس الكلام» في تعليمه (٨ / ١).

ان مثل هذا التباين القائم بين العبرانيين والقديس بولس لأمر يحمل على التعجّب والتساؤل. فكيف يقول لنا كاتب العبرانيين إن هذا التعليم في كهنوت المسيح هو رأس الكلام، في حين ان لا وجود له عند القديس بولس والانجيليين؟ وكيف يمكننا أن نفسّر اهمال مثل هذا التعليم في بداية البشارة والتوسُّع فيه بعد ذلك؟

لا بدّ أن ننطلق من وجهة نظر المسيحيين الأولين ونتّخذ مسيرتهم طريقاً نسير عليها كي نكتشف الأسس التي انطلقوا منها. وهذا الأمر يفترض أن نتحرّر من أسلوبنا الحالي في فهم كلمة «كاهن» و «كهنوت»، علماً بأن ذلك يساعدنا

ليس للشعب ما يلزم من القداسة لكي يقترب من الله. ولو حاول الاقتراب منه لمات (خر ١٩ / ١٢ و ٣٣ / ٣). ولذلك، فُصل أحد الأسباط وكُرّس لخدمة الله. وفي داخل هذا السبط، فُصلت عائلة وكُرّست تكريساً خاصّاً. ومن هذه العائلة أُخذ الكاهن، وكان مكلَّفاً بتأمين العلاقات الصالحة ما بين الشعب والله. كان الكاهن يُفصل من العالم الأرضي بواسطة تكريس يُدخله في عالم القدسيات. ورد في سفرَي الخروج والأحبار (خر ٢٩ و اح ٩) وصف دقيق لهذا التكريس: فهناك غُسل طقسي للتطهّر من كل ما هو غير مقدَّس، ومِسحة تسم الانسان بالقداسة، وثياب خاصة تعبّر عن انتماء الانسان الى عالم القدسيات، وذبائح تكريس. فعلى الانسان الذي نال «القداسة» أن يحافظ عليها بدقة. وهناك فرائض صارمة تُرغم الكاهن على تجنّب كل ما من شأنه أن يُرجعه الى عالم غير مقدَّس (اح ٢١). فإن خالف تلك الفرائض، لم يعد يستطيع أن يقترب من الله.

ولقاء الانسان بالله مرتبط أيضاً بشروط أخرى. فهو لا يلتقي الله في أي مكان، بل في مكان مقدس. في هذه الحال أيضاً، تبدو المسألة مسألة انفصال، لأن المكان المقدس هو مجال خاص بالطقوس، ولا يُسمح للشعب أن يقترب منه. وعلى الكاهن، اذا أراد الدخول الى المكان المقدس، أن يمارس طقوساً معيَّنة، وأهمّها «الذبيحة».

وهنا أيضاً، لا بدّ لنا من اجهاد الفكر لنتحرَّر من المعاني التي نجعلها في بعض الكلمات. فكلمة «ذبيحة» تعني خاصةً التحويل، أي جَعْل الشيء مقدَّساً. فالذبيحة هي عمل طقسي ينقل الانسان من العالم العادي الى عالم القدسيات.

لماذا يجب على الكاهن أن يقرّب الذبائح؟ لأنه لا يستطيع على الاطلاق أن يعبر هو بنفسه الى العالم الالهي. فبالرغم من تكريسه، لا يزال انساناً أرضيّاً. فعليه اذاً أن يختار كائناً حيّاً قادراً على مثل هذا العبور. والطقوس تفرض عليه تقريب الحيوانات التي لا عيب فيها. والحيوان يُنتزَع من العالم العادي، لأنه يُذبح ويقرَّب على مذبح الهيكل. ويُحرق فيصعد الى السماء متحوِّلاً الى دخان (تك ٨ / ٢٠ — ٢١ و اح ١ / ٩ و ١٧ الخ)، أو يُرشّ دمه نحو عرش الله في السماء (اح ١٦ / ١٤ و ١٥).

هذا ما توصّلت اليه الطقوس القديمة في ميدان الوساطة. كانوا يسعون وراء مزيد من التكريس، وكانوا يحصلون على هذا التحقيق عن طريق مجموعة من انفصالات طقسية: فيُفصل الكاهن عن الشعب لكي يكون في خدمة الطقوس، ويغادر المكان الاعتيادي، لكي يدخل في المكان المقدس، ويترك أعماله العادية ليقوم باحتفالات قدسية، وتنفصل تقادمه الذبائحية عن الحياة الأرضية لتصعد الى الله.

بعد هذه الحركة التصاعدية، القائمة على انفصالات متعاقبة، يتوقّع الانسان حركة تنازلية تحمل معها الرضا الالهي وعطاياه. فإن نالت الذبيحة رضا الله، كانت الضحية مقبولة. فيدخل الكاهن الذي قرَّبها في صلة بالله وتُستجاب صلواته. والشعب الممثَّل بالكاهن يكون هو نفسه

في علاقة جيدة مع الله وينال النعم التي ينتظرها، وهي:

— الصفح عن خطاياه ونهاية الكوارث التي كانت نتيجة لخطاياه.

— التعاليم الالهية التي تمكّنه من الاهتداء الى طريق الصواب عبر مصاعب الحياة اليومية.

— البركة الالهية، أي حضور الله الفعّال في جميع قطاعات الوجود.

والرسم البياني التالي يشرح ويلخّص وظائف الكهنوت ومكانتها ومعناها.

رسم بياني للوساطة الكهنوتية القديمة

٢. العنصر المركزي

يُقبل الكاهن في مسكن الله

١. العناصر التصاعدية

سلسلة تصاعدية من الانفصالات الطقسية تجد ذروتها في تقريب حيوان يذبحه الكاهن لله

٣. العناصر التنازلية

يحمل الكاهن الى الشعب عطايا الله (الصفح والتعاليم والبركات)

لكي تتحقّق هذه المراحل الثلاث على وجه فعّال، لا بدّ من التأكّد من فعاليّة المرحلة التصاعدية. كل شيء يقوم على نظام الانفصالات الطقسية المتعاقبة التي ذكرناها. ولذلك، كان اليهود يولونها أهمية كبرى. فمن خالف هذا النظام، كان يستوجب الموت (عد ١ / ٥١ و ٣ / ١٠ و ٣٨ ورسل ٢١ / ٢٧ — ٣١).

٣. يسوع وكهنوت العهد القديم

ما هي العلاقات التي أقامتها جماعة المؤمنين الأولى ما بين حياة يسوع البشرية والمؤسسة الكهنوتية القديمة، كما وصفناها سابقاً؟ في الحقيقة، ليس هناك من علاقة مباشرة، فان يسوع لا ينتمي الى هذه المؤسسة الكهنوتية، ولا يندرج فيها نشاطه الرسولي، ولقد أبعده موته عنها.

آ) لم يرد في الأناجيل ان يسوع هو كاهن: طرح معاصرو يسوع أسئلة كثيرة حول شخصيته، وأدلوا بأجوبة مختلفة، منها له ومنها عليه. قيل فيه إنه «نبيّ»، و«ان فيه روحاً شريراً»، و«ان المسيح مضلِّل». وجدير بالذكر انه لم يُطلق عليه لقب «كاهن»، وليس في ذلك ما يفاجئنا، لأن يسوع لم يكن كاهناً بحسب الشريعة اليهودية، فهو لا ينتمي الى عائلة كهنة أو عظماء كهنة، ولا حتى الى سبط كهنوتي فُصل للخدمة الطقسية. في السلسلة التصاعدية للانفصالات الطقسية، كان يسوع في الدرجة السفلى، درجة الشعب.

ب) لم يدَّعِ يسوع القيام بنشاط كهنوتي: لم يدَّعِ يسوع على الاطلاق القيام بوظيفة كاهن

يهودي، ولم يكن نشاطه نشاطاً كهنوتيّاً، بحسب معنى الكلمة القديم، بل كان نشاطه امتداداً لنشاط الأنبياء الذين كانوا يعلنون كلمة الله وينبئون بتدخل الله القريب في العالم. ويحسن بنا أن نتذكر، في حديثنا عن الكهنوت وعن النبوءة، ان صراعاً شديداً قام بين الكهنة والأنبياء. فقد كان من أخطار المؤسسة الكهنوتية أن يعتقد الناس بأنه يكفي الانسان أن يقوم بشعائر خارجية وأن يراعي الانفصالات المطلوبة، لكي يكون في علاقة صحيحة مع الله.

لقد قاوم الأنبياء تلك الشكليات وطالبوا بطاعة صحيحة لله في الحياة الواقعية، ولا سيما في الحياة الاجتماعية والسياسية. وسار يسوع في خطى تقليد الأنبياء على وجه واضح. فالأناجيل تبيّن لنا ان يسوع تصرف خلافاً للمفاهيم الطقسية في ممارسة الديانة، وأنه لم يُعِرْ انتباهاً للاهتمامات الطقسية المتعلقة بالطهارة الخارجية (متى ٩ / ١٠ — ١٣ و ١٥ / ١ — ٢٠ وما يقابلها). ورفض أن يولي السبت قيمة مطلقة (متى ١٢ / ١ — ١٣ ويو ٥ / ١٦ — ١٨ و ٩ / ١٦). ولم يقبل بالمفهوم القديم للقداسة. قاوم يسوع أعداءه مرَّتين بكلام الله الذي أعلنه النبي هوشع: «إنّما أريد الرحمة لا الذبيحة» (هو ٦ / ٦ ومتى ٩ / ١٣ و ١٢ / ٧). فهو يقف موقفاً يخالف نظام الانفصالات الطقسية الذي كانت ذروته تقريب «الذبيحة»، واختار اتّجاهاً معاكساً، وهو الذي يسعى الى إكرام الله بنشر الرحمة التي تأتي من الله. فبدلَ التقديس الذي نناله بالانفصال عن الآخرين، يقترح تقديساً يقوم على الترحيب بهم. فألغى الاهتمام بالطهارة الطقسية، تاركاً المجال لدينامية المصالحة والمشاركة. وبدلَ الإكثار من الحواجز، اقترح يسوع ازالتها عن طريق التقارب.

ج) أليس موت يسوع ذبيحة وتقدمة كهنوتية؟ هل اتخذت خدمة يسوع الرسولية اتّجاهاً معاكساً للكهنوت القديم؟ أولم يحدث تغيير في آخر الأمر؟ أولم يلحق يسوع بالكهنوت في موته؟ أوليس موت المسيح تقدمة كهنوتية و «ذبيحة»؟ نجيب: نعم على هذه الأسئلة، ونحن على حق. إلّا اننا قد لا نعي تماماً صعوبة مثل هذا الجواب. فعلى الجواب الايجابي أن يأتي في نهاية تفكير يبدأ بالجواب السلبي.

نعترف أولاً بأن موت يسوع لم يكن ذبيحة بحسب المفهوم القديم لهذه الكلمة، علماً بأن هذه الكلمة كانت تتضمن معنى طقسيّاً. لم تكن الذبيحة، بحسب المفهوم القديم، قائمة على قتل الضحية، ولا على عذابها، بل على طقوس قربان تقام في مكان مقدس. وفي الواقع، تمّ موت المسيح في مكان غير مقدس، ولم يكن لموته من صلة باحتفال طقسي، بل كان موته على عكس ذلك تماماً، أي إعدام شخص حُكم عليه بالموت. فما بين اعدام شخص حُكم عليه بالموت والقيام بذبيحة طقسية، كان اليهود، وبالتالي المسيحيون الأولون، يرون تعارضاً كبيراً. كانت طقوس الذبيحة تجعل منها عملاً رسميّاً وتقديسيّاً وتمجيديّاً، يقرّب من الله ويلتمس منه البركات. أمّا موت الشخص الذي حُكم عليه بالموت، فكان يبدو على عكس ذلك، يبدو أسوأ العقابات، لا بل

«لعنة»، وهي على طرفي نقيض من «البركة». كان المحكوم عليه بالموت يُفصل عن شعب الله (عد ١٥ / ٣٠) فيصبح ملعوناً ومصدر لعنة (تث ٢١ / ٢٣ وغل ٣ / ١٣). كان وضع يسوع يختلف كل الاختلاف، لأن الحُكم كان ظالماً، ولأن حدث موته اكتسب معنى ينبع من قلب حياته، ولكن هذا الحدث لم يكن طقساً ولم يكن بالتالي «ذبيحة» بحسب المفهوم القديم لهذه الكلمة، بل كان، في نظر يسوع، عمل «رحمة» لا حدّ لها. «بذل يسوع حياته فداءً عن كثيرين» (مر ١٠ / ٤٥). ومات «بسبب خطايانا» (١ قور ١٥ / ٣ وروم ٥ / ٦ — ٨). وعملُ الرحمة هذا هو ما يوافق ارادة الله الذي يريد «الرحمة لا الذبيحة» (متى ٩ / ١٣ وراجع مر ١٢ / ٣٣).

قد زاد حدث الجلجلة في المسافة الفاصلة بين يسوع والكهنوت القديم.

وهذا العديد من الاستنتاجات يمكّننا من الجواب عن أحد الأسئلة التي طرحناها. إنها تفسّر لنا لماذا لم تفكّر الكنيسة، في السنين الأولى للبشارة، في إطلاق لقب «كاهن» و «عظيم كهنة» على المسيح. لا عجب في ذلك، فإنه لم يكن في شخص المسيح وفي تعليمه وموته ما يتناسب مع تصوّر الكهنوت في ذلك الزمان.

٤. مسألة تحقُّق الكتاب المقدس

لكن «العبرانيين»، بإدخالها موضوع الكهنوت وكهنوت المسيح في الايمان المسيحي، أدخلت تغييراً ملحوظاً في العهد الجديد. وهل كان هذا التغيير زيادة عابرة أو سطحية؟ هل كان خيانة لتعليم الكنيسة القديم أم كان تعمُّقاً حقيقياً في الايمان؟ الجواب واضح: كان تعمُّقاً في الايمان، تعمّقاً صادراً عن سؤال جديد.

كان عدم التطرّق الى مثل هذا الموضوع أمراً عادياً في الأصل. إلّا ان عدم التطرّق الى موضوع الكهنوت كان أمراً قد يسيء الى الايمان المسيحي. فهل كانت المسيحية ديانة دون كهنوت؟ وهل كان المسيحيون يؤلفون جماعة لا تحتاج الى كاهن؟ ان الأجوبة السطحية لا تكفي أمام مثل هذه الأسئلة التي تمسّ جوهر الايمان المسيحي. فالايمان المسيحي يعلن ان المسيح قد حقّق الكتاب المقدس ومخطّط الله الخلاصي الذي أُعلن عنه في العهد القديم. ولكن كيف القبول بمثل هذا الاعلان إن كان سرّ المسيح خالياً من البعد الكهنوتي الذي يتّخذ مكانة هامة في العهد القديم؟

آ) **أهمية المؤسسة الكهنوتية في العهد القديم**:

حين نقرأ العهد القديم، تظهر لنا بوضوح أهمية المؤسسة الكهنوتية. فالشريعة الموسوية تولي تنظيم الطقوس والكهنوت شأناً كبيراً (خر ٢٥ — ٣١ و ٣٥ — ٤٠ و اح ١ — ١٠ و ١٦ — ١٧ و ٢١ — ٢٤ و عد ٣ — ٤ و ٨ و ١٥ — ١٩ الخ). أمّا كتب التاريخ فإننا نلاحظ فيها ان شأن عظيم الكهنة أخذ يزداد شيئاً فشيئاً، وأصبح، بعد الجلاء، رئيس الأمّة الوحيد، جامعاً في شخصه بين السلطة الدينية والسلطة السياسية (سي ٥٠ / ١ — ٤). وفي القرن الثاني قبل المسيح، كان الثائر على السلوقيين عائلةً كهنوتية، وكان السببُ القاهر

الكبير بإدخال الايمان في الحياة اليومية وتحويلها بقوة الايمان.

ب) وبعضهم الآخر الى ثلاثة أقسام: القسم الأول (١ / ١ — ٤ / ١٣) كلمة الله، والقسم الثاني (٤ / ١٤ — ١٠ / ١٨) كهنوت المسيح، والقسم الثالث (١٠ / ١٩ — ١٣ / ٢٥) العيش عيشة مسيحية.

هذا التقسيم على شيء من الصواب، لكنه يفصل بين موضوعَي العبرانيين الأساسيَّين، وهما كلمة الله والكهنوت. فعندما يتحدَّث الكاتب عن كلمة الله، لا يهتمّ بكهنوت المسيح، وعندما يصف المسيح الكاهن، لا يأتي على ذكر كلمة الله. أفيكون كهنوت المسيح في العبرانيين محدوداً في بعده الذبائحي؟

سبق لنا أن لاحظنا، في لوحة الوساطة الكهنوتية القديمة، ان أحد العناصر في الكهنوت يتناول ايصال كلمة الله: كان الكاهن ينقل الى الشعب «تعاليم الله». فهل زال هذا العنصر في كهنوت المسيح، كما تصفه لنا العبرانيين؟ لا بدّ لنا، للجواب عن هذا السؤال الهام، من البحث الدقيق في بنية العظة الكهنوتية (عب ١ / ١ — ١٣ / ٢١).

٢. أسلوب التأليف

تفتح العبرانيين مجالاً واسعاً لمن يرغب في التحليل الأدبي، لأن كاتبها سيّد في فنّ الكتابة. فلقد برع في تأليف هذا النص، مستخدماً الأساليب التي ورثها من تربيته اليهودية واليونانية.

واليك لائحة بتلك الأساليب التي لجأ اليها، علماً بأن البحث عنها يمكّننا من اكتشاف بنية العظة الكهنوتية.

— اعلان عن المواضيع التي ستُعالَج.
— احتواء أو قفل يشير إلى حدود المقاطع.
— تنوّع الفن الأدبيّ: عرض عقائدي أو تعليم أخلاقي.
— كلمات خاصة بشرح.
— الانتقال استناداً الى كلمة رَبْط.
— ترتيب متوازٍ.

قد تبدو هذه الأساليب معقَّدة، إلّا ان تطبيقها في قراءة النص أمر سهل، فسرعان ما تبدو لنا أمراً طبيعيّاً. لا شك ان المؤشِّر الهام هو الأول، أي الاعلان عن الموضوع. فإن الكاتب، قبل الشروع في أحد الأقسام، يعلن بعبارة قصيرة عن الموضوع الذي سيتوسَّع فيه، ويذكر أيضاً هل في هذا الموضوع نقطة واحدة أم عدّة نقاط. فإن أردنا الحصول على مخطَّط العبرانيين، كفانا أن ننسخ تلك الاعلانات عن المواضيع، الواحد تلو الآخر.

لكن المشكلة هي في الوقوع عليها والتأكّد من صحتها، لأن الكاتب لا يذكر لنا، في مجال كلامه، رغبته في شرح فكرة أو أكثر، كما يفعل بعض الوعّاظ في مستهلّ مواعظهم. كاتبنا فنّان بارع لا يلجأ الى مثل هذه الأساليب العددية، بل يتّكل على فطنة مستمعيه.

لا يشير الكاتب، في مستهلّ كلامه، الى مضمون عظته ولا الى سياق أقسامها، بل يعلن في المكان المناسب عن موضوع يكون القسم الأول من

العظة، واذا انتهى من القسم الأول، أعلن عن موضوع القسم الثاني، واذا انتهى من القسم الثاني، أعلن عن موضوع القسم الثالث، وهكذا الى النهاية. ففي العبرانيين خمسة اعلانات، وهي: ١ / ٤ و ٢ / ١٧ — ١٨ و ٥ / ٩ — ١٠ و ١٠ / ٣٦ — ٣٩ و ١٢ / ١٣.

٣. الاعلان الأول (١ / ٤) والقسم الأول (١ / ٥ — ٢ / ١٨): اسم المسيح

لا يصعب علينا تحديد الاعلان الأول، فإنه يقع في المكان المتوقَّع، أي في نهاية مقدمة العظة (١ / ١ — ٤). وما يلفت النظر هو موضوعه الجديد. فعلى الكاتب، في خاتمة الجملة الطويلة الهامة التي يفتتح بها عظته، أن يذكر الاتّجاه الذي سيتّخذه.

ان قرأنا هذه الجملة، وهي جملة ترسم لنا مسيرة تدخّل الله في تاريخ البشر (١ / ١ — ٤)، وجدنا ان الكاتب يتوقف بشكل مفاجئ، في آخِرها، على المقارنة بين المسيح والملائكة (١ / ٤). وهذه المقارنة تشير الى أهمية «الاسم» الذي ناله المسيح في نهاية عمله الخلاصي. فقد ورث المسيح اسماً أفضل من اسم الملائكة (١ / ٤). بذلك يدل الكاتب على الموضوع الذي سيعالجه في القسم الأول. فمنذ الجملة التالية (١ / ٥)، نلاحظ انه أخذ يقيم الدليل على ما قال، مستشهداً بفقرات من الكتاب المقدس، تشهد على ان اسم الابن قد وُهب للمسيح، لا للملائكة.

ان الأهمية المعلَّقة على «الاسم» تعكس العقلية الساميَّة. ويمكننا أن نضع، بدل عبارة «الاسم الذي ورثه المسيح»، هذه العبارة: «المجد الذي ناله المسيح». فإن الكاتب يسعى، في هذا القسم الأول من عظته، أن يعرض علينا تعليماً في تمجيد المسيح، أو بعبارة أخرى، تعليماً مسيحانيّاً.

ما هي حدود هذا القسم الأول؟ هناك طريقة بسيطة جداً لاكتشاف تلك الحدود. سبق للكاتب أن أعلن انه سيتوسّع في معالجة موضوعه بالمقارنة بين المسيح والملائكة. فيكفينا، لتحديد هذا القسم، أن نرى أين تقف تلك المقارنة. يتحدّث الكاتب عن الملائكة في الفصلين الأول والثاني، ويذكرهم للمرة الأخيرة في ٢ / ١٦، ولا يعود يذكرهم إلّا في نهاية العظة (١٢ / ٢٢ و ١٣ / ٢). ورد ذكر الملائكة ٦ مرّات في الفصل الأول و ٥ مرّات في الفصل الثاني. وهذه الكلمة تميِّز الفصل الأول من العبرانيين، كما أنها تدل على حدوده، علماً بأن هذه الحدود توافق الفصلين الأولين منها.

وهناك مؤشِّرات أخرى تؤكّد على الحدود التي اكتشفناها في القسم الأول وتُظهر بنيته الداخلية. وهذه البنية هي على الوجه التالي: فقرتان من التعليم اللاهوتي (١ / ٥ — ١٤ و ٢ / ٥ — ١٨) تماثلان تعليماً أخلاقيّاً وجيزاً (٢ / ١ — ٤)، تشير الفقرة الأولى الى مكانة المسيح الممجَّد لدى الله (١ / ٥ — ١٤)، وتُظهر الفقرة الثانية صلته بالبشر (٢ / ٥ — ١٨). فالمسيح هو ابن الله وأخ للبشر. في الحالتَين، يحمل اسماً أفضل من اسم الملائكة (١ / ٤).

يعكس هذا البعد الثنائي لسرّ الايمان، فإنه في جملة واحدة يُظهر كلمة الله وسر المسيح في علاقتهما المتبادلة. فإن الجملة، اذا جُرِّدت من عناصرها الثانوية، تؤكّد على «ان الله كلّمنا بالابن... ولمّا طهَّر العالم من الخطايا، جلس عن يمين ذي الجلال». ومنذ اليوم، تصل الينا كلمة الله كاملةً، لأنها اتَّخذت شكلها الكامل بتجسد ابن الله الذي هو «شعاع مجده وصورة جوهره» (١ / ٣). ان عمل الله يحوّل وجه حياتنا، لأن هذا العمل ظهر لنا على وجه كامل ونهائي في آلام المسيح الممجَّدة. ينتج عن ذلك، فيما يختص بنا، ان كلمة الله وأعمال الله ترتبط ارتباطاً لا ينفسخ بوساطة المسيح. ففي المسيح يكلّمنا الله، وفي المسيح يخلّصنا.

في هذه الجملة الأولى، الأساسية، لم يذكر الكاتب أيّ شيء عن الكهنوت، إلّا أنه مهَّد لموضوع الكهنوت بمهارة وعمق، كما سنراه فيما بعد.

٢. تعليم تقليدي في المسيح (عب ١ / ٥ — ٢ / ١٨)

آ) انتهت جملة المقدّمة (١ / ١ — ٤) بمشاهدة المجد الحالي الذي يتمتع به المسيح. ويتّخذ القسم الأول (١ / ٥ — ٢ / ١٨) هذه المشاهدة نقطة انطلاق. فإلى المسيح القائم من الموت يوجّه الله كلام مز ٢، المستشهد به في عب ١ / ٥: «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك». لمّا كان المسيحيون الأولون يقرأون هذا المزمور الذي يعلن تتويج الملك المشيح، كانوا يكتشفون فيه نبوءة تحقّقت في حدث الفصح. حُجب مجد يسوع في حياته الأرضية، فـ «جُعل ابن الله في القوة بقيامته من بين الأموات» (روم ١ / ٤ وراجع رسل ١٣ / ٣٣).

ب) لا يشكّل مطلع القسم الأول من الرسالة حالةً فريدة في حدّ ذاتها، بل هو ميزة يمتاز بها الكاتب في طريقة تفكيره. فهو ينطلق دائماً من مكانة المسيح الممجَّد، كما عرفها بإيمانه.

والقسم الثاني (٣ / ١ — ٥ / ١٠) يشبه القسم الأول، فهو يوجّه أنظارنا أولاً الى المجد الحالي الذي يتمتّع به المسيح، الى ذلك المجد الذي تقوم عليه سلطته. مجده يفوق مجد موسى (٣ / ٢)، لأنه مجد الابن (٣ / ٦)، في حين ان موسى لم يكن سوى خادم (٣ / ٥).

وهذا شأن القسم المركزي (٧ / ١ — ١٠ / ١٨)، فإنه يذكر أولاً المكانة المجيدة التي يتمتع بها عظيم كهنتنا. كان ملكيصادق رمزاً الى تلك المكانة، فمثَّل ابنَ الله (٧ / ٣). وفي الواقع، ما ورد في مز ١١٠ ينطبق على «الابن» الذي «جُعل كاملاً بآلامه» (٧ / ٢٨ وراجع ٢ / ١٠ و ٥ / ٨ — ٩) «ورُفع الى أعلى السموات» (٧ / ٢٦).

نرى من ذلك ان كاتب العبرانيين ينطلق من نقطة أساسية تحدِّد الوضع المسيحي، وهو ان المسيحيين يشعرون بأنهم على صلة حيَّة بالمسيح القائم من الموت والجالس عن يمين الله.

ج) يظهر القسم الأول، كما لاحظنا، بمظهر خلاصة تعليمية في سر المسيح. يبدأ فيه الكاتب بعرض رؤية تقليدية، كي يصغي اليه المؤمنون بدون مشقَّة: يذكّر المؤمنين بتجربتهم الايمانية الأساسية، وهي مشاهدة المسيح الممجَّد مشاهدةً مبنيَّة على

الايمان (١ / ٥ — ١٤)، ثم يذكّرهم بدرب الآلام الذي سلكه يسوع للوصول الى ذلك المجد (٢ / ٥ — ١٨). ان آلام المسيح وتمجيده هي في أساس الايمان المسيحي (١ قور ١٥ / ٣ — ٤)، وكثيراً ما تُعرض في ترتيبها الزمني. لكن الكاتب يفضّل الترتيب المعاكس، فهو يناسب شرحه التاريخي لهذا الحدث. ورد هذا الترتيب في أقوال بطرس، كما رواها لوقا (رسل ٣ / ١٣ و ٥ / ٣٠) أو في جملة بولس التي تعبِّر عن اتّحاد المؤمن بالمسيح (فل ٣ / ١٠).

واذا أراد الكاتب أن يصف مجد المسيح، استشهد بالعهد القديم (عب ١ / ٥ — ١٤). وحين نقرأ النصوص الكتابية في ضوء حدث الفصح، فإنها تكشف عن معناها الكامل، اذ إنها تتحدّث عن المسيح وعن صلته بالآب، وعن جلوسه عن يمين الآب في السماء، وعن سلطانه على العالم. والنصوص المستشهَد بها هنا يرتبط معظمها بالمشيحية المَلَكية، وفقاً للتقليد المسيحي القديم. فالمسيح الممجَّد هو ابن داود الذي فيه تحقّقت نبوءة ناتان (عب ١ / ٥ ب = ٢ صم ٧ / ١٤ و ١ اخ ١٧ / ١٣)، والنبوءة المتوازية التي وردت في مز ٢ (عب ١ / ٥ آ = مز ٢ / ٧ وراجع رسل ١٣ / ٣٣). وهو الملك المنتصر الوارد ذكره في مز ٤٥ (عب ١ / ٨ — ٩ = مز ٤٥ / ٧ — ٨)، وهو الرب المذكور في مز ١١٠ الذي دعاه الله الى الجلوس عن يمينه (عب ١ / ١٣ = مز ١١٠/١، وراجع متى ٢٢ / ٤٤ و ٢٦ / ٦٤ ورسل ٢ / ٣٤ و ١ قور ١٥ / ٢٥ الخ). وفيه تحقّقت المواعد المشيحية بشكل لا يتصوّره العقل، لأنه في الوقت نفسه خالق السماء والأرض (عب ١ / ١٠ = مز ١٠٢ / ٢٦)، فسيادته هي مطلقة اذاً (عب ١ / ١١ — ١٢ = مز ١٠٢ / ٢٧ — ٢٨). وله الحق، لا في ألقاب «ابن» (١ / ٥) و «بِكْر» (١ / ٦) و «ربّ» (١ / ١٠) فقط، بل باسم «الإله» أيضاً (١ / ٨ — ٩).

ولاسم المسيح وجوه أخرى أيضاً يجب ألّا ننساها، لأن تمجيده لم يُلغها. يذكّر بها الكاتب في الفقرة الأخرى من تعليمه (٢ / ٥ — ١٦). فالمسيح هو «انسان»، «ابن الانسان» (٢ / ٦). صار «أخاً» لنا (٢ / ١١ — ١٢) لكي يصبح «قائدنا الى الخلاص» (٢ / ١٠). ولا يزال قائدنا في مجده، لأن المجد هو اكليل الآلام التي عاناها «لأجل كل انسان» (٢ / ٩)، وهو يثبِّت اذاً للأبد تضامنه معنا.

أراد الكاتب أن يشير الى الآلام الممجِّدة، فاستعمل نصوصاً تقليدية: المزمور ٨ (عب ٢ / ٦ — ٩)، الذي يستشهد به بولس الى جانب المزمور ١١٠ (١ قور ١٥ / ٢٥ — ٢٧ و اف ١ / ٢٠ — ٢٢)، والمزمور ٢٢ (عب ٢ / ١٢)، الذي هو مزمور الآلام بوجه فريد (راجع متى ٢٧ / ٣٥ و ٣٩ و ٤٣ و ٤٦).

أمّا موضوع تفوّق المسيح على الملائكة، الذي يستخدمه الكاتب ليحسن التوحيد بين عناصر القسم الأول، فنعلم بأنه أصبح هو أيضاً تقليديّاً عند المسيحيين (اف ١ / ٢٠ — ٢١ وقول ١ / ١٦ و ٢ / ١٠ و ١٥ و ١ بط ٣ / ٢٢).

د) فالتعليم اللاهوتي في القسم الأوّل هو اذاً

تعليم تقليدي بكامله. أمّا الآفاق الجديدة التي يفتحها الكاتب، فلا تأتي إلّا بالخاتمة، في جملة ٢ / ١٧، حيث يطلق على المسيح لقب «عظيم الكهنة». قد نُفاجأ بهذا التعليم الجديد، لكنّنا نخطئ ان اعتقدنا بأنه يُدخل انفصالاً في التعليم اللاهوتي الذي باشره الكاتب. علينا، بالعكس، أن نلاحظ ان هذا التعليم الجديد هو امتداد لما سبق (٢ / ٥ — ١٦). فمن الطبيعي أن ينتقل بنا الكاتب من عرض تقليدي لسر المسيح الى عرض كهنوتي، شرطَ أن يوجّه أنظارنا الى هدف الكهنوت الأساسي، لا الى شعائره الطقسية.

رأينا ان الكهنوت (راجع الفصل الثاني) هو أداة وساطة. أفلا يجدر بنا، انطلاقاً من هذا الواقع، أن نعترف بأن المسيح الممجَّد، ابنَ الله (١ / ٥ — ١٤) وأخا البشر (٢ / ٥ — ١٦)، هو في وضع مثالي من الوساطة؟ بآلامه نال لناسوته التمجيد البنوي لدى الله، وارتبط بنا، في الوقت نفسه، على وجه كامل نهائي، آخذاً موتنا على عاتقه. لقد صار واحداً مع الله وواحداً معنا، فأصبح الوسيط الكامل، أو، بعبارة أخرى، أصبح «عظيم كهنة رحيماً أميناً» (٢ / ١٧).

كان لا بد له، للوصول الى ذلك الوضع، أن يجعل نفسه شبيهاً بنا، لأن شرط الوساطة الآخر، المختص بالعلاقات مع الله، كان مستوفى، لأن يسوع هو ابن الله. فالكاتب يعرض لنا موضوع الكهنوت في ٢ / ١٧، في علاقة مع آلام يسوع. كان لا بدّ للمسيح، «لكي يصير عظيم كهنة»، «أن يجعل نفسه مشابهاً اخوته في كل شيء»..

عبارة «في كل شيء» تعني هنا حتى في المحن والآلام والموت.

نلاحظ ان ترتيب القسم الأول يمهّد للموضوع الجديد. نضيف ان الحديث عن الملائكة قد يبدو غريباً للوهلة الأولى، غير انه يتّضح في ضوء الحديث عن الوساطة. وكان مسيحيو ذلك الزمن يعتقدون بدور الملائكة في الوساطة، أفَلَم يكن الملائكة في وضع فريد ليتوسَّطوا بين الله والبشر؟ وكان التقليد اليهودي ينسب اليهم هذا الدور، بل هناك بعض نصوص كانت تنسب الى أرفعهم مقاماً دور عظيم كهنة سماوي. ينتقد كاتبنا تلك الادّعاءاتَ ويبيّن، دون الاشارة الى ذلك، أن للمسيح مكانة تؤهّله، أكثر من أي ملاك آخر، لأن يقوم بدور عظيم الكهنة. فبكونه ابن الله، له مع أبيه علاقة أعمق من علاقة أي ملاك (١ / ٥ — ١٤). وبكونه أخا البشر، فهو أشدّ قدرة على تفهّمهم ومساعدتهم (٢ / ٥ — ١٦). لا شك ان الملائكة لهم دور في تحقيق التدبير الالهي، لكن مكانتهم دون مكانة المسيح (١ / ١٤). والمسيح الممجَّد هو أفضل منهم بما لا يقبل التشبيه، فهو لنا أكثر من مجرَّد وسيط، لأنه بآلامه دخل الى عمق أعماقنا فصار الوسيط الحقيقي بين الله والانسان.

هـ) أليس لقب «عظيم الكهنة» هو اللقب الذي يعبّر عن سرّ المسيح أفضل تعبير؟ هذه هي فكرة كاتب العبرانيين في خاتمة القسم الأول. وفي آخر المطاف، نرى ان الاسم الذي يلخّص ويكمل سائر الأسماء هو «عظيم كهنة رحيم أمين» (٢ / ١٧). وهناك تفضيل لقب عظيم كهنة على لقب